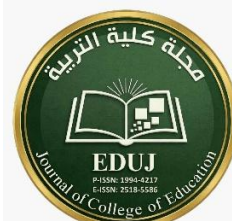




ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>

Rese. Hadyah Kazim
Thajil

Dr. Fadel Kazem
Hanoun

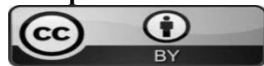
University of Wasit -
College of Education
for Human Sciences

Email:

dha72833@gmail.com
Fhannoon@uowasit.edu.iq

Keywords:

Violence, Gods,
Conflict, Texts,
Mesopotamia



Article info

Article history:

Received 2. Jan 2025

Accepted 4. Feb.2025

Published 25. Aug.2026



Violence in Religious Thought in Ancient Iraq

A B S T R A C T

The importance of studying religious beliefs stems from the importance of religion itself, which served as the foundation of Mesopotamian civilization and the spirit of its society; Iraqi civilization was born and died under the auspices of the gods and the temple, and this civilization cannot be understood without understanding the beliefs of its people—particularly their conception of their gods and what they valued in their lives—because everything in the universe, whether small or great, exists only by the will of the gods.

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol64.Iss2.4221>

العنف في الفكر الديني بالعراق القديم

الباحثة: هديه كاظم ثجيل
أ. د فاضل كاظم حنون

جامعة واسط - كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص:

تتعلق أهمية دراسة المعتقدات الدينية من أهمية الدين نفسه، الذي شكل وعاء لحضارة بلاد الرافدين وروح مجتمعتها فالحضارة العراقية ولدت وماتت في كنف الآلهة والمعبود، ولا يمكن فهم الحضارة الا بفهم معتقدات سكانها لاسيما في ما تصوره لآلهتهم وما تقدره في حياتهم، لأن ما في الكون سواء صغيرة أو كبيرة لا يكون إلا بإرادة الآلهة.

الكلمات المفتاحية: العنف ، الآلهة ، الصراع ، النصوص ، بلاد الرافدين.

المقدمة

كان الدين من أهم مقومات حضارة بلاد الرافدين إذ شكل جانب روحياً من تفكير الإنسان على مر العصور فالأفكار والمعتقدات غالباً ما تؤثر على الإنسان.

وتميزت الآلهة بخاصية هي تشبيه الآلهة بالبشر في صفاتهم، وإن الدين يمثل جانباً مهماً في حياتهم السياسية والأدبية والمحرك الأول لحياة الإنسان، فلذلك يشعر على الدوام بأنه يعتمد كلياً على إرادة الآلهة، وعندما يصابون بأذى يعتقدون أن الآلهة غضبت عليهم نتيجة لارتكابهم خطيئة.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث من خلال تسليط الضوء على العنف الديني الذي يكون بين الآلهة والآلهة الأخرى أو تسليطها العقوبة على البشر.

أسباب اختيار البحث:

لأجل دراسة المعتقدات الدينية ومعرفة معتقدات العراقيين القدماء أتجاه ألهتهم لان العقيدة الدينية تتصف بالشمولية، وكيف تؤثر على فكر الانسان في بلاد الرافدين.

منهجية البحث

استعمل المنهج السردى التاريخي في البحث، وإن الدراسة تحتاج سرد النصوص لإثبات حقيقة معينة والاحداث التاريخية، والمنهج التحليلي لعرض الجوانب الاساسية في المعتقدات الدينية ومن ثم تحليل بعض النصوص.

تقسيم البحث

قسم على أربع محاور، تناول المحور الأول "العنف الديني"، أما المحور الثاني فقد تضمن "عنف الآلهة ضد الآلهة" وجاء المحور الثالث بعنوان "عنف الآلهة ضد البشر" وجاء المحور الرابع بعنوان: "أساليب العنف المتعددة".

العنف الديني:

كان للمعتقدات والطقوس الدينية حيزاً مهماً في حياة الإنسان، وقد تركت آثارها الواضحة، لذا فإن الجانب الديني من أبرز العوامل المؤثرة في حضارة الامم إذ يساهم في تحديد الجوانب العامة مثل العادات والتقاليد والقوانين، (باقر، وآخرون، ص ١٨٠) وإن الدين منذ بداية نشأته حتى تطوره عبر العصور، وكذلك أديان الشعوب تطورت لأجيال متعاقبة لمختلف العصور (الهاشمي، ١٩٩٣، ص ٥٦)، إذ كانت حياة الانسان البدائية معرضة للمخاطر والكوارث الطبيعية، وقد يعتقد إن هناك قوى تسبب له هذه الامور لذلك لجأ الى استعطاف الآلهة ومحاولة كسب رضاها ولدفع الاذى وشكرها على نعمها واسهمت هذه الامور في نشوء العقيدة الدينية (شحيلا، والحمداني، ٢٠١٢، ص ١١٤)، وهذه المعتقدات قديمة منذ وجود الانسان القديم في الارض (باقر، ١٩٩٦، ص ١)، وإن العنف والفيضانات وتوقع المفاجئات ترك اثر في بيئة وادي الرافدين (باقر، ج ٢، ٢٠٠٩، ص ٤٨) وادرك الانسان بالخطر وضعفه أمام وسط هذه القوة المساوية وشعر بالخوف منها (فرانكفورت، ١٩٦٠، ص ١٤٧- ١٤٨).

وكان للآلهة دور كبير في حياة العراقي القديم فكان يستشيرها برأيها في شؤون حياتهم اليومية (احمد، ١٩٩٨، ص ٢٠٦)، أول المعبودات هي التي مثلت الارض وخصوبتها، وقد أطلق عليها تسمية الآلهة الأم الذي عبده وتصوره ذو صلة بالأرض المنتجة، ووجدوا تماثيلها في مواقع العراق القديم مثل قرية جرمو وحسونة وتل الصوان (الدباغ، ١٩٨٥،

ص ١٢١)، فقد اعتقد السكان أنَّ الآلهة الأم تمثل المرأة والارض وان زيادة الانتاج يحصل من تلقيحها مع الظواهر الطبيعية، فلذا تشبه تكاثر الإنسان من حيث تلقيح المرأة من الرجل (سلمان، ٢٠٠١، ص ٢٩).

وحياة الآلهة تشبه حياة البشر إلّا أنها انفردت عن البشر في صفة الخلود والقوة الخارقة (الطائي، ٢٠٠١، ص ٣٤)، بحيث أطلق عليها بـ(التشبيه) (الموحي، ٢٠١٢، ص ٢)، ومن مظاهر النضج في الفكر الديني عند بلوغها مبدأ الاستمرارية خلال العصور التاريخية في الالف الثالث قبل الميلاد، أمّا المعبودات التي عبدها سكان بلاد الرافدين نفسها التي قدسوها في الادوار القديمة (سليم، ٢٠١١، ص ٣٢٢)

أما حالات العنف التي مرت بها الآلهة فقد تمثلت بـ :

أولاً- عنف الآلهة ضد الآلهة

كان اعتقاد السكان ان صفة الخلود التي تميزت فيها الالهة جعلت الموت نصيب قدر على البشر منذ بداية خلقهم (نائل حنون، ١٩٦٠، ص ٤٣) وجاء في نص لملممة (كلكاش):

"خلقت عندما الالهة البشر

الموت قدرت على البشرية

واستشرت هي بالحياة" (باقر، ص ٧٩)

ونستشف من النص ان بعض الالهة لم تتج من الموت بسبب العقوبة التي ارتكبتها وبعضها تعرض الى الموت المؤقت واخرى نفيت الى العالم الاسفل وبعضها قتلت.

تكشف لنا اسطورة الخليقة البابلية حينما في العلى "اينما ايلش enuma elish" عن عقوبة الموت لثلاثة من الالهة من قبل الالهة الفتية وتعرضت الالهة(ابسو)(خوري، ١٩٩٠، ص ١٦) الى العقوبة نتيجة الافعال الجرمية (حنون، ص ٤٥) وكان الاله ابسو هو رأس الآلهة العتيقة وتم قتله على يد أحد احفاده المدعو (ايا) وقد اسره وزيره لذا فقد قتل ابنائه من قبل الآلهة الفتية(Oshima,2007,p.352):

"أيًا العالم بكل شيء، وجد مخططا لصالحهم، فكر ووضع ضد ابسو

مخططا كاملا، بمهاره، جعل تعويضته الصافية قديرة ضده، تلاها له

ابسو الذي اعتراه النوم، في حين ان ممو مستشارة كان قد تخدر

بالارق ، فعراه ايا ونزع تاجه ، ورفع عنه جلاله الالهي وتوشح هو

به، وقيد ابسو وقتلة"(لابات، ١٩٨٨، ص ٣٦)

أمّا حالة العنف الثانية التي حاولت(تيامة) أخذ الثأر لمقتل زوجها(ابسو) وقام (مردوخ) بطل الاسطورة من مقتلها (الدباغ، ١٩٩٢، ص ٢٧)

"نشر السيد شبكته وطوقها، اطلق بوجهها الرياح المدمرة الكامنة في

الموضع الخلفي، (فلما) فتحت تيامة فاهها لتبتعله ، ادخل الرياح

الدمرة في شفتيها المكشوفتين ، نفخت الرياح الهائجة كرشها

نشفت احشائها (و) وسعت فاهها ، اطلق سهمها شق بطنها ،مزق

اعماقها اخترق القلب، قمعها وقطع انفاسها، طرح جثتها (و) ووقف عليها"(حنون، ٢٠٠٦، ص ١٣٨-١٣٩)

أما حالة العنف الثالثة التي جاءت في الاسطورة هو الإله (كنكو) الذي تزعم جيش (تيامة) فقد اتخذته زوجا وقتل على يد الإله (مردوخ) (كريم، ١٩٨٤، ص ٩٩).

ثانيا: عنف تمييز الإلهة للإلهة

ان الإلهة شبيهة بالبشر الصفات وإنها تصاب بالأمراض مثلما يصاب الناس حين ارتكابهم المعاصي وهناك نصوص تثبت تعرض الإلهة الى عقوبة المرض التي حدثت في دلمون (نتيجة فعل خطيئة ما ومنها واسطورة (انكي ونخرساك) (عبد الواحد، ص ٩٥).

وتروي الاسطورة تعرض الإله (انكي) للمرض نتيجة للخطيئة التي ارتكبها وهي اكله نباتات الآله (نخرساك) الثمانية، لذلك غضبت (نخرساك) وقررت ان تعاقبه وكانت العقوبة يبدو أن المرض في جسمه ويكون في ثماني مواضع في جسده وكل مرض له نبات يشفيه في حين المرض اراد ان ينهي حياته الا ان تدخل الثعلب بين الإلهة (نخرساك) و(انكي) لكي يكون واسطة بينهما وشرعت بشفاء اعضائه المعولة وولادة الآلهات الثمانية لكي يشفى من مرضه (كريم، ص ٨٥-١٩٩).

"اجلس (نخرساك) (انكي) في حضنها (عند عورتها) ، ما يؤلمك

يا أخي (؟)، ان ال.... هو الذي يؤلمني، لقد عملت على ولادة الإله

(ابو) من اجلك، يا أخي ما علتك التي تؤلمك (؟) ، ان فكي هو الذي

يؤلمني، لقد ولدت من اجلك الإله (نن - تلا)، يا أخي ما يوجعك (؟)

ان سني هي التي توجعني، لقد اولدت من اجلك الإلهة (نن سوتو)، يا أخي ما يؤلمك (؟)، ان فمي هو الذي يؤلمني، لقد اولدت من اجلك الآلهة (نن كاسي)" (كريم، ص ٢٦١-٢٦٢) وشفي (انكي) من المرض نتيجة اكله النبات الثمانية من ولادة (نخرساك) الذي تولوا علاجه (كريم، ص ١٠٠)

ثالثا - عنف الآلهة ضد البشر

وإن العراقيين القدماء من خلال النصوص التي جاءت وصلتنا منها السومرية والبابلية كانوا قريبين على الآلهة وعبروا عن هذه العلاقة من خلال النذور التي يقدموها الى الإله (امين، ٢٠٠٥، ص ١٠٥) وأن الغرض من خلق الانسان لعبادة الآلهة وتقديم الخدمات اليها كالطعام والشراب، بحيث ان الآلهة بحاجة الى البشر من خلالها تحصل الآلهة على القرابين وان الآلهة لا تستطيع ان تستغني عن البشر (كونتينو، ١٩٧٩، ص ٢٧٤) ومن خلال الاساطير ان الانسان خلق لخدمة الآلهة (عدنان، ٢٠٠٧، ص ٢٥١، ٢٥٢) الا أن الإنسان قام بأمر أغضبت الآلهة وأزعجتها وأنزلت بها عقوبات أدت إلى انهاء وجود الانسان من الارض (زودن، ١٩٧٩، ص ١٨٢) وسبب العقوبات النقص في تقديم الخدمات الى الآلهة (ديلا بورت، ١٩٩٧، ص ٣٢١).

وحين تسلط العقاب فقد يكون جماعياً تصاب البشرية كلها أو فرادى يُصاب شخصاً ما . وجاء في قصص الطوفان ومرآتي المدن وهي:

أ: الطوفان

وتعرض البشر الى عقوبة الطوفان فاعتقدوا سومري الأصل إلا أن المدونين البابليين والاشوريين أضافوا آفاقاً جديدة لكي تنقل إلى الأجيال. (عبد الواحد، ١٩٧٢، ص٧) وجاء عن الطوفان في الكلمتين (A. M.A.URU.S) او البابلية (abubu) وتصوره على هيئة ارتفاع طغيان الماء ووقع في عصر معين ولم يكن وقعة في بلاد الرافدين فقط بل شمل العالم القديم كله (عبد الواحد، الطوفان في المراجع المسمارية فلذلك اصبح الطوفان بالنسبة للانسان شبح مخيف على مر العصور (عبد الواحد، ص٧)، وذكر في العديد من اللوح اما اهم المصادر المسمارية التي ذكرت الطوفان وهي :

١- قائمة الملوك السومرية (The Sumerian King List).

٢- قصة الطوفان السومرية (زيوسدرا Ziusudra).

٣ - قصة الطوفان البابلية (اتراخاسيس Atrahasis).

٤- قصة الطوفان في ملحمة كلكامش (اوتناپشتيم Utnapishtim) (عبد الواحد، ص١٥٠-١٥١).

إن القصص التي تحدثت عن الطوفان اتفقت على العناصر محددة وهي:

١- إغراق الأرض ومن عليها باستثناء زيورسدرا وعائلته.

٢- صنع سفينة ونجا من الغرق وجمع أصنافاً من الحيوانات والطيور والحبوب حتى تعود الحياة إلى الأرض بعد انتهاء الطوفان.

٣- ومن أهم الطرق التي استعملها لاستكشاف انتهاء الطوفان أطلق طير وحيء بقطعة من الأرض اليابسة دليل لانتهاؤ الطوفان (سولبركر، ٢٠٠٠، ص٩).

لذا نجد قصة الطوفان البابلية (اتراخاسيس) التي تحدثت عن العقوبات حين تعرضت لها البشرية ومهدت الآلهة لإحداث الطوفان بهدف الانتقام من البشر (عبد الواحد، ١٩٨٩، ص ٢٠٨) وحين خلق الانسان وثورة الآلهة (الاييجي)، ونجد في قصة الطوفان البابلية حين زاد عدد السكان:

”لم تمض بعد ألف ومائتا سنه

حتى توسعت البلاد وتكاثر الناس

واصبحت البلاد تخور مثل النور

فانزعج الاله (انليل) من ضجيجهم

اجل لقد سمع انليل صخبهم

فقال مخاطبا الآلهة العظام:

لقد أصبح صخب البشر شديدا علي

وقد حرمني ضجيجهم من النوم

فلنأمر بالوباء ينتشر بين الناس” (عبد الواحد، ص٥٦)

واستعمل الإله (انليل) العنف ضدهم وهي انزال "الابوبئة والامراض" لتقليل اعدادهم والحد من الازعاج الذي سببوه (باقر، ص ٢٢١) وحين فتكت الامراض بالناس ارتفعت اصواتهم واستغيثوا بالآلهة (أيا) لكي يفشل مخطط الإله (انليل) (عبد الواحد، ص ١٢) .

وعاد ازعاج البشر وضجيجهم على الارض مرة أخرى حين زادت أعدادهم فغضب الإله (انليل) وجمع الآلهة ليخبرهم عن تزايد أعداد الناس ولم يعرف الراحة فقد استعمل خياره الثاني وهو "إحلال المجاعة والجفاف" وذهبوا الى الإله (ايا) لكي يساعدهم وحين عرف (انليل) أفضل مخططة لكنة عاد المجاعة عليهم واستمرت ست سنوات ونقتبس منها:

"عندما حلت السنة الخامسة

أصبحت الابوبئة تراقب الام وهي تدخل (البيت)

غير أنّ الأم ما كانت لتفتح بابها الى ابنتها

وكانت الام تراقب ميزان الابنة (عند بيعها) (عبد الواحد، ص ٦٣)

وعندما حلت السنة السادسة

اتخذوا من الابنة عشاء لهم

واتخذوا من الابن غداء لهم

فالتهم كل جار جاره

وغطت وجوههم غشاوة كالنبت المصفر

وكان الناس أحياء ولكن على حافه الموت" (عبد الواحد، ص ٦٢-٦٣)

إلا إن الاله (ايا) استجاب إليهم وخفف عنهم من الجفاف والمجاعة (باقر، ص ٢٢٢) واستعمل (انليل) أخطر أسلحته وهي الطوفان للانتقام من الناس لكي يخلص من الجنس البشري (عبد الواحد، ص ١٢).

إما في "ملحمة كلكامش" فتتمثل بالأسباب في انتشار الارض بالفساد والشر والعنف (قاشا، ١٩٩٨، ص ١٨٤)، وجاء في اللوح الحادي عشر من "ملحمة كلكامش" حين خاطب الإله (أيا) الإله (انليل) قائلاً:

"صاحب الخطيئة حملة خطيئته

صاحب الاثم حملت اثمه

أرخ الخيط فلا ينقطع، شد الخيط فلا يرتخي (حنون، ٢٠٠٦، ص ٢٢٣)

أما قصة الطوفان السومرية لم تنتشر لأي سبب من الاسباب التي دعت الاله الى إحداث الطوفان (ريان، ٢٠٠٥، ص ٣٢٩)، وأنقذت المصادر على ان الطوفان جاء بأمر الآلهة، أما عن كيفية ائصال إلى (زيوسدرا) أنه رأى حلم وذهب الى الإله لكنه سمع صوت يأمره يقف خلف الحائط لكي يسمع الرسالة من الإله (ايا) الذي أنبأه عن الحلم و(اوتتابشتم) حين رأى حلم يخاطب الإله (أيا) من وراء جدار الكوخ لكي يكشف عن سر الآلهة (السواح، ١٩٨٨، ص ١٨٧) .

ب — تدمير المدن

كان لموقع العراق أثر كبير لأنه يقع بين منطقتين فتحده المناطق الجبلية من الشمال والشمال الشرقي والمناطق الصحراوية من الغرب والجنوب الغربي (باقر، ٢٠٠٩، ص ٣٥-٣٦) .

فلذلك كان محط أنظار الأقوام الأخرى وتعرضها إلى عمليات القتل وتدمير تماثيل الآلهة، وإن تلك الأسباب عقاب إلهي نتجت عن الخطيئة التي تعرض لها البشرية من غزوات وكوارث التي اغضبت الآلهة بسبب الاعمال التي اقترفتها الناس (شمار، ١٩٨١، ص ٦٥)

وعند تخلي الآلهة عن اهلها يصبحوا مهجورين ويتعرضون لكل أنواع الكوارث من الأعداء وتسلبهم وقتل سكانها، ويكون نتيجة الاعمال التي يرتكبها السكان التي تؤدي الى اغضاب الآلهة، وحين استرضاء الآلهة عليهم سيدفع البلاء منهم (الاسوود، ٢٠٠٢، ص ١٥) وحلت الكوارث في البلاد على مر العصور المختلفة حين ارتكاب المعاصي (عبد الواحد، ص ٣١٩)، اما اهم الكوارث التي تعرضت اليها تدمير مدينة أكد حين هجوم الكوتيون وادعوا أن سقوط مدينة أكد ان كهنة المعبد ادعو الههم الآله (انليل) الذي نال غضبه من هذه المدينة بسبب التصرف الذي قام به الملك (نرام سين) حيث قام بتدمير معبد الآله نفر فقد حلت لعنة لمدينة أكد واجتاحها الاقوام الكويتية (الامير، ٢٠١٤، ص ٢١٤).

اول المراثيات التي بدأت بقصة الملك سرجون الأكدي وكيف حصل على الملكية التي اعطتها الآلهة (انليل)، وتم القضاء على سلالتي الوركاء وكيش واقامت الآلهة (انانا) بيتها المقدس "أي — اولماش E.Ulmash في مدينة أكد واعطت للمدينة مكانة مهمة بين

الدول واصبحت وافرة بالخيرات وحوت كنوزها الاقطار وغرائب انتاجها (باقر، ص ٢٧٠)، وفي زمن الملك نرام سين حفيد سرجون وقعت كارثة وتغير كل شيء وحلت اللعنة واصابها الضعف وتخلت عنها الآلهة (انانا):

"بعد ان تخلت الآلهة انانا عن المدينة وهجرتها

وكما تهمل غرفتها اهللت الآلهة انانا معبدها في أكد

وكمقاتل يلوح بسلاحه هاجمت المدينة بغضب فائر

وارغمتها على تقديم صدرها للعدو" (شمار، ص ٦٦)

وحين أقدم الملك نرام سين حاكم أكد على نهب مدينة نفر وتدنيس معبد الآلهة (انليل) الذي يعرف بـ (معبد ايكور) (كريم، ٨٢) وحين نهب المعبد وتحميلها في السفن الامر الذي اغضب الآلهة (انليل) وعمل على معاقبته باستعمال الكوتيون (اوتس، ص ٦٣) وجاء النص للمريثة:

"قوم لا يخضعون ، وبلاد لا يحصى اهلها

بلاد الجوتيين ، بلاد لا تكبح جماحها

هؤلاء جاء بهم انليل من الجبال

فغطوا الارض بأعداد ضخمة كالجراد

وكأنها مصيدة للبهائم

ولم يهرب من يديهم شيء

فلا رسول على الطريق
ولا ملاح في قارب في النهر
لقد وضعوا الرقباء على قمم الاشجار عند ضفاف الانهار
ووضعوا اللصوص على الطرقات
ومداخل المدينة اصبحت ابوابها تحت التراب
وأطلقت البلاد صرخة حزن من داخل اسوارها" (عبد الواحد، ص ٣٢٢-٣٢٣)
وعند انتشار الخراب والمجاعة والموت قرر ثمانية من كبار الاله المجمع السومري لكي يهدوا (انليل) وتوجهت
بالدعاء الى تدمير مدينة أكد ويحلوا فيها لعنة طويلة (شمار، ص ٦٧) وهذا ما نطقت به الالهة:
"لتتناثر بساتينك كالغبار، ليعد اجرّك الى اعماق الارض ليتحول
قصرّك الذي شيد بقالب مفعم بالفرح الى خراب كئيب لينطلق الثعلب
الذي يجوب التلال في المكان الذي جرت فيه شعائرّك وطقوسك،
ليعجز كل انسان عن المشي، بسبب الثعابين والعقارب" (وتس، ٦٤)
وتحققت اللعنة وعم الدمار والخراب مدينة أكد ويختم الشاعر مرثيته:
"ان هذا ما حدث فعلا، بقيت أكد بعد ذلك مقفرة غير مسكونة" (باقر، ص ٦٤)

ج - الموت

تصور العراقي القديم ان الموت هو النهاية للإنسان حين قدرته الالهة منذ ان تولت خلقهم وجاء في خطاب
(اوتنابشتم) لـ (لكلكامش) عند ما قص خبر الطوفان:
"ان (الانوناكي)، الالهة العظام تجتمع مسبقا
ومعهم (مامتم)، صانعة الاقدار تقدر معهم المصائر
قسموا الحياة والموت
ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه" (باقر، ص ٧٨)
واتصفت بالخلود والسرمدية وحرمت الانسان منها، وكانت تخشى من تعاظم سلطة الانسان (كريم، ص ٢٣٥) سوف
يتمرد عليها (لكريم، ص ٢٣٣) ومن القصص التي كانت دليل شاهد على عدم منح الخلود للإنسان قصة (أدابا) حين قدم
اله السماء (انو) الى ماء الحياة وخبز الحياة لخداع الالهة (ايا) (لابات، ص ١٩)
الا انه رفض تناوله وضيع الفرصة التي لا تعوض على نفسه وعلى البشرية (عبد الواحد، ص ٢٤٠) اعتقدوا سكان
العراق القديم بحتمية الموت (محمد، ١٩٩١، ص ٤٣) من العقوبات التي تكون على البشر حيث جاء في نص (اوتنابشتم)
لـ (جلجامش) :

"ان الموت قاس لايرحم"

متى بنينا بيتا يقوم الى الابد"(حنون، ص ٨٠)

ونظروا سكان بلاد الرافدين نظرة وخوف، واعتقدوا ان الموت المبكر الى الانسان بمثابة عقاب إلهي وقد ورد في بعض الاشارات ان بعض الناس ماتوا ولم يكون وقتهم (حنون، ص ٨١-٨٢)، الى موت الشباب المبكر وقبل تذوق مباحج الحياة (الشواف، ج ٤، ص ٢٧)، إن موت(انكيديو) رفيق(كلكاش) في عنفوان شبابه نتيجة لعقوبة وذلك لإقدام (كلكاش) على قتل ثور(انانا) السماوي وايضا قتل حارس غابات الارز المقدمة (هواو/ خمبابا) (شمار، ص ٢٦) .

إما كلكاش فان عقوبته اجلت لبعض الوقت لكنه لم ينجو من عقاب الإلهان عقاب كلكاش كان انتقام الهي فعوقب بسرقة الأفعى لنبتة الحياة (شمار، ص ٣٦٧) فقد شكل(جلجامش) ورفيقه (انكيديو) قوة عظيمة هائلة وادت قوتهم الى قذف الالهة(عشتار) بفخذ الثور السماوي واصبحت هذه القوة تهدد سلطة الالهة وبان يكون احدهما يتعرض للعقوبة (حسين، ٢٠٠٦، ص ٩٧) اما عن اختيار(انكيديو) لكبش الفداء فأدت الى وجود اسباب ومنها قتل(هواو/ خمبابا)، وقتل الثور السماوي، وكان الهدف من خلق(انكيديو) تمثل في تهوور(كلكاش) وتسلط على مواطني مدينة الوركاء ونفذت هذه المهمة ولم يعد بحاجة الى(انكيديو) وتلقى عقوبة الموت، إن الإله (انليل) هو المسؤول الاول وبعده يأتي الملك(كلكاش) النائب عنها(حسين، ص ١٠٦-١٠٧) وجاءت عقوبة (انكيديو) من قبل الالهة نتيجة عدم التزامه قوانين العالم الاسفل الذي نصحه صديقة بها الا انه تجاوز هذه القوانين وتمكن من صرخة العالم الاسفل وعدم الافلات منها وحاول(كلكاش) التوسط عند الالهة حتى يتمكن من بقاءه على قيد الحياة الا ان مساعيه باءت بالفشل لان من يدخل الى العالم الأسفل لا يرجع منه (عبد الواحد ، ص ١٦٣) .

٣- أساليب العنف المتعددة

تعرض بعض الحكام لعقوبات ومن خلال النصوص نستشف الحاكم (لوكال زاكيزي) تعرض الى عقوبة على يد الملك سرجون الأكدي عندما انتقلت السلطة الى الاكديين، وفي عهد(اوروانمكيئا)، قام بحرق ونهب مدينة لجش مما ادى الى غضب الاله(ننجرسو) (باقر، ص ٧٧) : وجاء في النص

"لقد أشعل رجل (اوما) النار في (ايكيسورا) وأشعل النار في

(انتاسور) ونهب معدنه الثمين، وحجره اللازوردي الثمين. لقد

استولى على قصر(تيراش) ووضع يده على الـ (ابزوبندا) لقد

استولى على مزار(اوريماء) عرش (انليل) ، وعلى مزار(اوريماء) عرش (اوتو)... (كريم، ص ٣٦٤)

إما في "ملحمة جلجامش" حين تعرض(كلكاش)الى العقاب من قبل الالهة نتيجة الاعمال العنف والفساد الذي حل بمدينة والظلم الذي مارسه ضد شعبة والعذاب في اعمال السخرة (كريم، ص ٤٦٣) وورد في النص:

"على ضربات الطبل تستيقظ رعيته،

لازم ابطال (اوروك) حجراتهم متذمرين شاكين:

لم يترك جلجامش ابنا لابنه

لم تنقطع مظالمه عن الناس ليل ونهار"(باقر، ملحمة كلكاش، ص ٣٩)

ونقرأ عن مظالمه الأخرى:

"لقد أحل في المدينة العار والدنس

وفرض على المدينة المذكورة المنكرات وأعمال السخرة" (باقر، ص ٤٨)

إما في الاسطورة السومرية التي خلدت دمار بالبلاد وذلك بانتقام الاله (انانا) من البستاني الذي قام باغتصابها يدعى "شوكليتودا" وتروي الاسطورة قيام البستاني بزرع الاشجار ذوات الظلال الوارف وتدور من مطلع الشمس حتى غروبه (عبد الواحد، ١٩٧٣، ص ٨٣-٨٤) واخذت (انانا) تريخ جسمها المنهك من التعب في ظلال اشجار البستان، الا ان البستاني راقبها وانتهاز الفرصة وقام بمضاجعتها (كريم، ص ١٥٨)، وجاء في الاسطورة:

"ذات يوم بعد ان عبرت ملكتي السماء وعبرت الارض،

(انانا) بعد ان عبرت السماء، وعبرت الارض،

بعد ان قطعت بلاد (عيلام) وبلاد (شوبر)،

بعد ان عبرت

اقتربت البغي المقدسة (انانا) الى البستان، من أثر وعناء السفر، وغطت في النوم

فراها (شوكليتودا) من حافه بستانه، ...

ضاجعها وقبلها وعاد الى حافة بستانه" (كريم، ص ٤٣٧).

وعندما استيقظت الإله (انانا) في صباح اليوم الثاني وعرفت ما فعله البستاني بها بالأمس

صممت على الانتقام لنفسها من البستاني وعملت على إنزال العقوبات به وببلده وأرسلت ثلاثة من العقوبات على بلاد سومر وأولها: جعلت آبارهم تمتلئ بالدماء بدل من الماء (عبد الواحد، ص ٨٤):

"(انانا) من أجل عورتها ماذا صنعت!

لقد ملأت جميع آبار البلاد بالدم،

فامتلأت جميع الأحراش والبساتين في البلاد بالدماء

لقد صار العبيد حين يذهبون للاحتطاب لايشربون الا الدم،

والاماء إذا ما جئن للتزود بالماء لا يملأن (جرارهن) الا بالدم

لقد قالت: لأجدن من جامعي في جميع ارجاء البلاد" (كريم، ص ١٦١)

ان الاله (انانا) قامت بمطاردته (شوكليتودا) ولكنها لم تعثر عليه فذهب الى والدته لكي يسأله عن النصيح حين علم بأن (انانا) تطارده فصحه بالذهاب الى بلاد سومر وان يكون بالقرب من مركز المدينة (كريم، ص ٩٦) لأنها تكون مزدحمة بالناس ويصعب على (انانا) التعرف اليه (عبد الواحد، ص ١٠٢)

وحين فشلت في التعرف الية ارسلت عقوبتها الثانية: وهي تسليط الرياح والعواصف المدمرة (كريم، ص ٩٦) ولكن من دون جدوى:

"لقد قالت ساجد الذي ضاجعني في انحاء البلاد

ولكنها لم تجد الذي ضاجعها"(السواح، ص ١٩٨)

أما العقوبة الثالثة فلم تكن معروفة لأنها كانت ناقصة ومحطمة (كريم، ٢٠٠٤، ص ٢٣٢)، وأوضحت لنا الاسطورة معتقد ديني وهو عدم التقرب من الكاهنة لأنها تكون زوجة الاله من الناحية الدينية وحرمة القوانين اما النصوص فقد انذرت بالشؤم ومعاقبة كل من يقدم على مضاجعة كاهنة (عبد الواحد، ص ٩١)، أما الدمار الذي حل باهل الوركاء الذي جاء في "ملحمة كلكامش" على يد الإله (عشتار) فقد انعجبت به الإله عندما عاد (كلكامش) من غابات الارز منتصر وحاولت اغرائه لكي يكون عشيق لها (احمد، ١٩٨٨، ص ٦٢) ونظر اليها (كلكامش) نظرة احتقار وذكرها بمصيرها السابقين، وشكت الى الاله (انو) لكي يثأر لها بخلق ثور سماوي ليدمر سكان مدينة الوركاء (هوك، ٢٠٠٩، ص ٥٠) ويبين النص:

"تزل الثور السماوي وهو ينشر الرعب والفرع

وقضي في اول خوار له على مائه رجل ثم مائتين وثلاثمائه

وقتل في خواره الثاني مائه ومائتين وثلاثمائه

وبعد المجزرة الجماعية استطاع (كلكامش) ورفيقه (انكيو) من القضاء على الثور السماوي واقتلعا قلبه وقدماه قرباناً (أمين، ٢٠٠٥، ص ٨) الى الإله (شمش) (حسن، ص ١٥).

إنّ الانسان الرافديني القديم حاول إرضاء الآلهة وعدم ازعاجها لأنها هي المسؤولة عن الحياة التي كان يعيشها وعدم وقوعه في مصائب فقد تؤدي بحياته الى الموت مثلما فعلت بعض الآلهة حين اغضبته الآله أدت بها للموت وان العنف الأديني كان من الأسباب التي تنظم الحياة الدينية وكذلك السياسية لأنّ القوانين مقدسة وصادرة منها وتعدّ واجب تطبيقها وفي حال عدم تنفيذها فان حياة الانسان معرضة الى الخطر والى إنهائه من الوجود.

الاستنتاجات

- ١_ إِنَّ البيئَة في بلاد الرافدين كانت ذات أثر كبير في حياة السكان لأنَّ بيئَة بلاد الرافدين مضطربة تحمل في طياتها العنف والشدة، وطبعت العراقيين القدماء بمزاج خاص، فلذلك أصبحوا يرون كل عذاب يلحق بهم عقاباً ناتج عن خطيئة.
- ٢_ اعتقد العراقيون القدماء بوجود العقاب الذي تحاسب عليه الآلهة وتدعوها الى إنزال العقاب بمرتكبيها منها، الذي ترتكبها بقصد أو من دون قصد وتحاسب عليه الآلهة فالخطيئة التي تكون بقصد يكون العقاب أشد من تلك التي ترتكبها من دون قصد، اما الخطيئة بدون قصد فيكون عقابها جائراً، وتعددت العقوبات التي تفرضها الآلهة على البشر بتعدد الخطايا المقترفة منها جماعية كالطوفان وتدمير المدن وأخرى فردية مثل المرض والموت.
- ٣_ شبّه العراقيون الهتهم بالبشر في اغلب صفاتهم الروحية لذا فما يجري على الناس يجري على الآلهة ايضاً وكذلك العقوبات التي تفرضها على الناس يماثلها مما يفرض على الآلهة فالآلهة تمرض وتموت تكون نتيجة لعقوبة تفرض عليها من آلهة حين ارتكابها خطأ ما.

المصادر والمراجع

- _ احمد امين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم (حضارة العراق القديم)، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١١.
- _ اسامه عدنان يحيى، الالهة في رؤية الانسان العراقي القديم (دراسة في الاساطير)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٧.
- _ تقي الدباغ، الفكر الديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.
- _ تقي الدباغ، البيئة الطبيعية والانسان، حضارة العراق، ج ١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.
- _ حمد خليفة حسن احمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى وحضارته، دار فباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨.
- _ جورج بوبية شمار، المسؤولية الجزائية في الآداب الاشورية والبابلية، ترجمه سليم الصويص، شركة المطابع النموذجية، بغداد، ١٩٨١.
- _ جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد اشور، ترجمه سليم طه التكريتي وبرهان التكريتي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩.
- _ جون اوتس، تاريخ بابل مصوره، ترجمة سمير عبد الرحيم الجبلي، دائرة الآثار والتراث، بغداد، ١٩٩٠.
- _ حسين علوان حسين، الصراع في ملحمة كلكامش، الدار العربية للطباعة والنشر، بابل، ٢٠٠٦.
- _ رينية لابات، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين (مختارات من النصوص البابلية)، ترجمة الاب بيرلا ووليد الجادر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامع، ب غداد، ١٩٨٨.
- _ سهيل قاشا، اثر المدونات البابلية في المدونات التوراتية، ط ١، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت، ١٩٩٨.
- _ سعد عمر محمد امين، القرابين والنذور في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.
- _ سمير الطائي، العنف السياسي في بلاد الرافدين ووادي النيل دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٠.
- _ سعدون عبد الهادي برغش الامير، التوظيف السياسي للفكر الديني في العراق القديم (٣٠٠٠ - ٥٣٩ ق.م) اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠.
- _ صموئيل هنري فرانكفورت، الاساطير في بلاد ما بين النهرين، ترجمة يوسف داود عبد القادر، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، ٢٠٠٩.
- _ صموئيل نوح كريم، اساطير سومر واكد (اساطير العالم القديم)، ترجمة احمد عبد حميد يوسف، مراجعة عبد المنعم ابوبكر، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤.
- _ طقوس الجنس المقدس عند السومريين (اينانا ودموزي)، ترجمة نهاد خياط، ط ٤، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ٢٠٠٦.
- _ السومريون (تاريخهم وحضارتهم وخصائهم)، ترجمة فيصل اللواتي، دار غريب، ١٩٧٣.
- _ الاساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧١.
- _ طه باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج ٢، ط ١، جامعة بغداد، ١٩٨٠.
- _ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ط ١، دار الرواق، لندن، ٢٠٠٩.
- _ ديانة البابليين والاشوريين، مجلة سومر، العدد ٢، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد، ١٩٦٤.
- _ ملحمة جلجامش، ط ٣، دار الحرية، بغداد، ١٩٥٧.
- _ طه الهاشمي، تاريخ الاديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٣.
- _ علي شحيلات، ياسر الحمداني، مختصر تاريخ العراق القديم (تاريخ العراق القديم)، ج ٦، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٢.
- _ فاضل عبد الواحد، ثم جاء الطوفان، مجلة سومر، مج ٢٨، بغداد، ١٩٧٢.
- _ عشتار ومساء تموز، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٣.
- _ سومر اسطورة وملحمه، ط ٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠.
- _ من الواح سومر الى التوراة، ط ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩.

- _ فراس السواح، مغامرة العقل الاولى (دراسة في الاسطورة سوريا، ارض الرافدين)، دمشق، ١٩٨٨.
- _ فون، ف. زودن، مدخل الى حضارات الشرق القديم، ترجمه فاروق اسماعيل، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣.
- _ قاسم الشواف، ديوان الاساطير (الموت والبعث والحياة الابدية)، ج٤، دار الساقى، لبنان، ٢٠٠١.
- _ قتيبة احمد سلمان، عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٠.
- _ حكمت بشير مجيد الاسود، ادب الرثاء في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٢.
- _ ليو ديلاپورت، بلاد ما بين النهرين (الحضارة البابلية والاشورية)، ترجمة كمال محمد، مراجعة عبد المنعم ابو بكر، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- _ نائل حنون، حينما في العلالا (قصة الخليقة البابلية)، ط١، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٦.
- _ ملحمة جلجامش، ط١، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦.
- _ نائل حنون، عقائد مابعد الموت في حضارة وادي الرافدين، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.
- _ محمد خليفة حسن، الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم " دراسة في ملحمة جلجامش، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
- _ هنري فرانكفورت، ماقبل الفلسفة، ترجمة، جبر ابراهيم جبراً، مراجعة محمد الامين، ط١، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠.
- _ وليم ريان، والتر بتمان، طوفان نوح، ترجمة فارس بطرس، مراجعة الاب يوسف توما، مطبعة النهار الجديد، بغداد، ٢٠٠٥.
- _ ولاء مهدي محمد حسين، الجوانب الفلسفية في فكر وادي الرافدين واثرة في العهد القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩١.
- _ وداد جاسم الجوراني، الرحلة الى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم، ط١، بغداد، ١٩٨٨.
- _ Takayoshi oshima, the Babonian God Markduk, in (the Babylonian Word), Edited by: Gwendolyn, leick usa, 2007, p.352.